رسالة التغليب
أحمد بن مفتي الخادمي

د. نجم عبد صكر

موظف في وزارة التربية – مديرية التربية – الرصافة الثانية

Resalat Al-Taghleeb" by Ahmed bin Mufti Al-" Khademi

Najm Abdul Sakr
PhD / Arabic Language

Employee at the Ministry of Education / Education Directorate

ملخص البحث

المخطوط هو «رسالة التغليب» تأليف العالم أحمد بن مفتي الخادمي (ق ١٣هـ) وتنبع أهميته من المادة اللغوية التي ضمها وتناوله الأساليب التي في تراكيب لغة العرب، ونستطيع أن نلتمس آثار تلك الأساليب في القرآن الكريم.

ويعدّ المخطوط مسارا دقيقا في اللغة العربية كشف عن مدى إدراك العرب للأشياء ووعيهم بها.

وقد قُسّم البحث على قسمين: القسم الأول ضم فقرتين: الأولى: شملت التعريف بالمؤلف، وإثبات اسمه، ونسبه، ومؤلفاته، ونسبة المخطوط إليه. والثانية: تحدث المحقق فيها عن وصف النسخة الخطية، ومنهج التحقيق. أمّا القسم الثاني فهو تحقيق المخطوط وتليه الخاتمة التي ذكرت فيها النتائج، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

Abstract

«Resalat Al-Taghleeb» is a manuscript written by the scholar Ahmed bin Mufti al-Khadimi in (13 AH). Its importance comes from its linguistic material and dealing with methods in Arabic structures. We can also find «Resalat Al-Taghleeb» effects in the Holy Qur'an. It was considered as an accurate path in Arabic which revealed the extent of Arabs and their perception of things.

The research was divided into two sections: The first section included two paragraphs: The first included an introduction to the author, his name, lineage, and works, and attributing the manuscript to him. In the second paragraph the researcher describes the manuscript and the method of investigation. As for the second section, it included an investigation of the manuscript, followed by the conclusion in which the results were mentioned, finally the paper ends with references and resources.

بسمِ اللَّـهِ الرّحمنِ الرّحيم

مقدمة..

الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ وصَلَّى اللّـهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّيبينَ الطّاهِرينَ.

وَبَعْدُ...

كثيرة هي المخطوطات المتناثرة في مكتبات العالم التي لم يُكشف عنها النقاب، ولم يُزح عنها الغبار لترى النور، على ما استشف لي من البحث في التراث العربي.

ومخطوط «التغليب» هو واحد من هذه المخطوطات، إذ تأتي أهميته من المادة اللّغوية التي ضمّها في طيّاته، ومن الأساليب التي وردت في كلام العرب ولغاتهم، ألا وهو أُسلوب «التغليب» الذي عُدّ مسلكاً دقيقاً في لغتهم، وكشف عن مدى تصورهم للأشياء وإدراكهم لها، ونستطيع أن نلتمس آثاره في القرآن الكريم.

ويعدُّ «التغليب» من الأساليب اللّغوية التي كثُرت التأويلات حوله، ورُبما أُدخل فيه ما ليس منه، حتى أصبح باباً واسعاً يجري في فنون كثيرة.

وعندما أُنزل القرآن الكريم بلغة العرب وأعجزهم عن مجاراته، متحدياً إيّاهم الإتيان بمثله، الأمر الذي جعل العلماء يتلقفون آياته بحثاً وفهماً، كان نصيب أُسلوب «التغليب» من آيات القرآن الكريم وافراً لما تتميز به من مقاصدَ لغويةٍ، ونكتٍ بيانية، مثل: خفة اللّفظ، وتكيّف المعنى، واتساع الدلالة، وقد أسهب البلاغيون أكثر من غيرهم في تقصي مواضع هذه الأساليب والتراكيب، مع مراعاة السياق اللّغوي، والقرائن التي ترجّحه، والاستعمال اللّغوي الذي ورد من كلام العرب ضمن أقيستهم التي اعتمدوها.

ومن صورها: تغليب جمع من يعقل إذا كان معه ما لا يعقل، ومنها: تغليب أحد الاسمين على الآخر، إمّا

لشرف التذكير، وإمّا لخفة أحدهما. ومنها: تغليبُ الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللّفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحدِ المتناسبينِ أو المتشابَهيْنِ أو المتجاوريْنِ على الآخر، وتغليب الجمع على المفرد، وتغليب المثنى على المفرد، كلُّ ذلك ابتغت العربية منه فوائد: منها: الإيجاز في العبارة، والاقتصار على الإشارة، والبُعد عن الإطناب سواء في الألفاظ أم المعنى، أو رُبما إطلاق الألباب في التفكير، والذهاب مذاهب شتى، كي يتسع المعنى، أو لتوازن الفقرات، وسلامة فواصل الآيات، أو الإيحاء إلى بعض المفاهيم.

وقد بذلت جهدي في دراسة المخطوط، وتحقيق النصّ، وإخراجه بالصورة التي تليق به، وقدمته بمقدمة موجزة عن موضوعها، وتعريف بما تيسّر لي عن حياة المؤلف ومؤلفاته، والنسخ الخطية، ومنهج التحقيق، نسأل اللّه تعالى أن يتقبل ذلك بقبول حسن لخدمة لغتنا العربية، إنّه نعم المولى، ونعم النصير.

التعريف بالمؤلّف:

لم تسعفنا المصادر، ولا أصحاب السير والتراجم على وجه الخصوص التي بين أيدينا بشرح وافٍ عن حياة المؤلف ونشأته، ولا عن مكان ترعرعه وأُسرته، ولا عن شيوخه وتلامذته، وكذلك لم تُحدد وفاته بصورة دقيقة، وقد أثبتنا بعض المعلومات من القرائن التي أحاطت بالمؤلف، ومنها ما نُسب إليه من مؤلفات. وكان الترجيح في ذلك عن طريق مقارنة وفيات كلّ من انتسب إلى «آل خادم» آنذاك، إذ ذكر صاحب كتاب: «معجم تأريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم»[1] أنّ وفاته كانت في القرن الثالث عشر الهجري. ويبدو لي أنّه استند في ذلك بناءً على ما هو مثبت من تأريخ نسخ ابنه (محمد راسخ)، لمخطوط والده،

وهي وإن كانت تشي ببعض التلميح لمن أعوزه الدليل إلى تأريخ وفاته، إلا أنّها بالتأكيد لا تعطي صورة دقيقة عن وفاته. ومن ملاحظة أُسرته التي استقرت في بلدة «خادم» التابعة لمدينة «قوينة» التركية، يمكن أن نرجّح أنّه وُلِد وترعرع في هذه الأُسرة العلمية، وعلى يد شيوخها في هذه المدينة التي عجّت بهم، وجلّهم من «آل خادم» الذين أتوا أو بالأحرى هاجروا من أقصى الشرق، وتحديداً من شمال غرب آسيا، فأصبحت مدينة «خادم» محطة للمهاجرين ومنارة علم لكلّ المدن المحيطة بها.

وعلى أيّ حال، فترجمته مضطربة رُبما بسبب تشابه الأسماء، أو استعمال المؤلف نفسه للتورية بالكنية بدلا عن الاسم الصريح، ويغلب الظنّ أنّ الحياة السياسية المليئة بالحروب بين الإمبراطوريات الثلاث آنذاك العثمانية، والفارسية، والروسية التي عاشها وقتئذٍ، ولاسيّما في مدينته «قوينة»، وما فيها من صراعات طائفية ومذهبية هي التي دعته أن يستعمل الأسماء المجازية بدلا عن الصريحة مثل: «عبد اللّـه» في بعض مؤلفاته ورسائله، أو النسبة إلى المدينة «الخادمي» التي اشتهرت بها عائلته، ومن ثمَّ دعت المترجمين إلى الخلط بينه وبين إخوته وأحفادهما، وهو سبب ثالث لهذا الاضطراب؛ لذلك جاءت ترجمته مختصرة مشوهة حتى في نسبة مؤلفاته، فنسبها بعضهم مرة له، وأُخرى لابنه، وثالثة لإخوته.

وأثبت الباحث من بعض القرائن أنّ اسمه كما ذكره هو في ذيل رسالته (أحمد بن مفتي الخادمي) المولود في مدينة «خادم» إحدى ضواحي مدينة «قوينة» الواقعة في وسط جنوب الأناضول[٢]. إذ ينتهي نسب المؤلف إلى آل رسول اللّـه «صلى اللّـه عليه وآله وسلم».

وتُشير المصادر إلى أنّ جده الأعلى «عثمان» قدِمَ من مدينة «بَلْخ»

الواقعة في الشرق الأدنى إحدى مدن مقاطعة خراسان الفارسية سابقا[٣]، وهي الآن إحدى مدن أفغانستان، إذ استقر به المقام في مدينة «خادم»، وإليها نسب، وتعاقب أحفاده على هذه النسبة إلى يومنا هذا.

ومع أنّ هناك إشارات أيضا شابها الاضطراب ألمحت إلى شيوخه وتلامذته لم أتطرق إليها، تثبتا في النقل، وخوفا من الوقوع في الزلل.

وأشارت المصادر إلى أنّ وفاته في مدينته «خادم» التي استقر فيها كانت ما بعد منتصف القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية الشريفة على أغلب الظنّ.

أمّا مؤلفاته:

فذكرت بعض المصادر أنّها زادت على العشر ما بين رسالة، وكتاب، وتعليقة، وحاشية، ومنها هذا المخطوط الذي بين أيدينا، إذ يقع في ورقتين، وقد صورتها بمساعدة الشيخ الفاضل الأستاذ في حوزة قم المقدسة (محمد علي رسول) من مكتبة آية اللّه العظمى السيد المرعشي النجفي، وكانت تحت الرقم: ٢٦٤٧/ ٣. ورقة ٩٠ – ٩١. وذكرها صاحب «معجم التأريخ»[٤]، تحت الاسم (أحمد بن عبد اللّه الخادمي الرومي العثماني الفقيه الحنفي المفتي بخادم)، تحت الرقم: (٨٨٢)، وذكر معها سبعة تصانيف أُخر منها:

١ – رسالة الإعتقاد – في الكلام.

٢ – رسالة في عقائد الفرق – في الكلام.

٣ – رسالة في الكلام.

٤ – الرسالة اللامعة.

وهذه المخطوطة التي بين أيدينا موجودة أيضا في مدينة (أفيون قره حصار) في تركيا، تحت الرقم: (١٨١٨٤/ ١٣، ورقة ٣٧ – ٣٨؛ ١٢٨٨ هـ). إلا أنّه عاد وذكره باسم (أحمد بن مصطفى بن عثمان أبو نعيم الخادمي الرومي العثماني) تحت الرقم:

(١٣٣٧)، وذكر أنّ وفاته كانت سنة (١١٦٥هـ/ ١٧٥١م). وهو أخو (محمد بن مصطفى المتوفى سنة ١١٧٦ هجرية مفتي خادم)[٥]، ثُمَ ذكر من تصانيفه:

١- تحفة السفيد - في المنطق.

٢- تفسير البسملة.

٣- حاشية على مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول لملّا خسرو.

٤ - رسالة في الجمع بين قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله﴾، وقوله «صلى اللّه عليه وآله وسلم»: «ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن».

٥- رسالة في إثبات الوحدة الإلهية.

٦- رسالة في بيان القضايا المنطقية.

٧- رسالة التغليب في النحو، وغيرها من الرسائل.

وكلّ القرائن التي بين يدي تُشير إلى أنّ المؤلف اسمه (أحمد بن مصطفى) المتوفى سنة (١١٦٥)[٦]. أمّا (أحمد بن عبد اللّه الخادمي) هو للتورية كما هو الحال في (أحمد بن مفتي الخادمي) والسؤال لِمَ لم يصرح باسمه؟ الجواب: إذا عرفنا وقتذاك الاضطراب الطائفي والمذهبي الذي راح ضحيته علماء وطلاب فضلاء والشواهد على ذلك كثيرة عندها نقبل عذره.

وللمخطوط أيضا نسخة ثالثة في مركز «جمعة الماجد» للثقافة والتراث- في دبي بالإمارات العربية المتحدة تحت الرقم: (٣٧٦٢٦٨)، والرقم: (٥٠٩٠٣٦) لم أحصل عليه.

التعريف بالمخطوط:

المخطوط رسالة صغيرة جداً لا يتجاوز اللوحتين، وتأتي أهميته من ناحيتين:

الأولى: محاولة الباحث إحياء ما أمكن إحياؤه من التراث العربي.

والثانية: علميته التي اختصرت مادة مهمة تداولها علماء العرب وعدّت أسلوباً من أساليبهم، وسنة من سننهم في إرادة الدلالة على شيئين أو أكثر -

كما مرّ – إذ قام بعرضها بصورة مبسطة ينتفع منها العالم والمتعلم على حدٍّ سواء.

منهج التحقيق:

وقد بُذلَ الجهد في دراستها، وتحقيق نصّها، وإخراجه بالشكل الذي يتوافق مع ما أراد المؤلف (رحمه اللّـه)، وقدمت للنصّ المُحقق بما تيسر لي من اطلاع ومعلومات.

اعتمدت نسخة مكتبة آية اللّـه العظمى السيد المرعشي النجفي، لتعذر حصولي على النسخ الأُخر التي بخط المؤلف لأتمكن من مقابلتها عليها فآثرت أن أنشر هذه النسخة التي هي بخط ابنه ومكتوب في خاتمتها اسمه، واسم ناسخها، وهو ابنه لإثبات النص؛ وهي على الإجمال مكتوبة بخط واضح مع أنّ فيها كثيراً من التصحيف وعدم وضوح بعض الكلمات، وحرصت على أن لا أُثقل الهامش بالتعليقات، بل اقتصرت على الإيجاز، وتركت ما لا ضرورة له، وتجنبت تسجيل الأخطاء الإملائية قدر الإمكان خشية الإطالة والإملال، لأنّ الهدف هو إخراج المخطوط على الصورة المثلى، وعليه كان المنهج على النحو الآتي:

١-التقديم للكتاب، والتعريف بالمؤلف ومؤلفاته لإثبات المخطوط ونسبته له، ثُمَّ بيان منهج المحقّق.

٢- ضبط النص وتحريره.

٣- الإشارة إلى ما سقط سهوا عن المؤلف من المخطوط.

٤- توضيح بعض المصطلحات التي استعملها الكاتب «المؤلف»، مثل: عموم المجاز، الاستثناء المتصل...إلخ.

٥- التعليق على الإشارات التي تبدو غامضة، بما يفسر معناها.

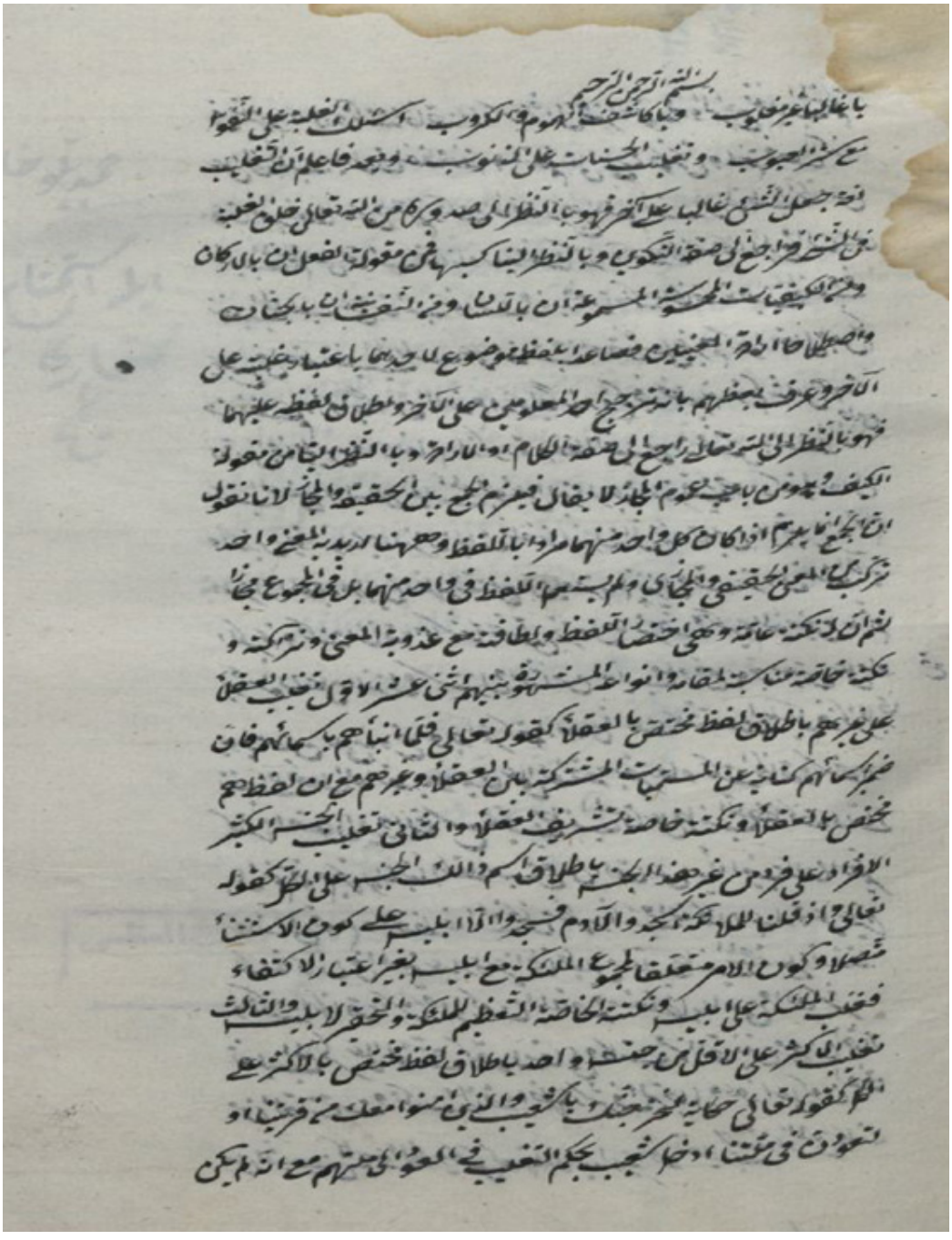

الصفحة الأولى من المخطوط

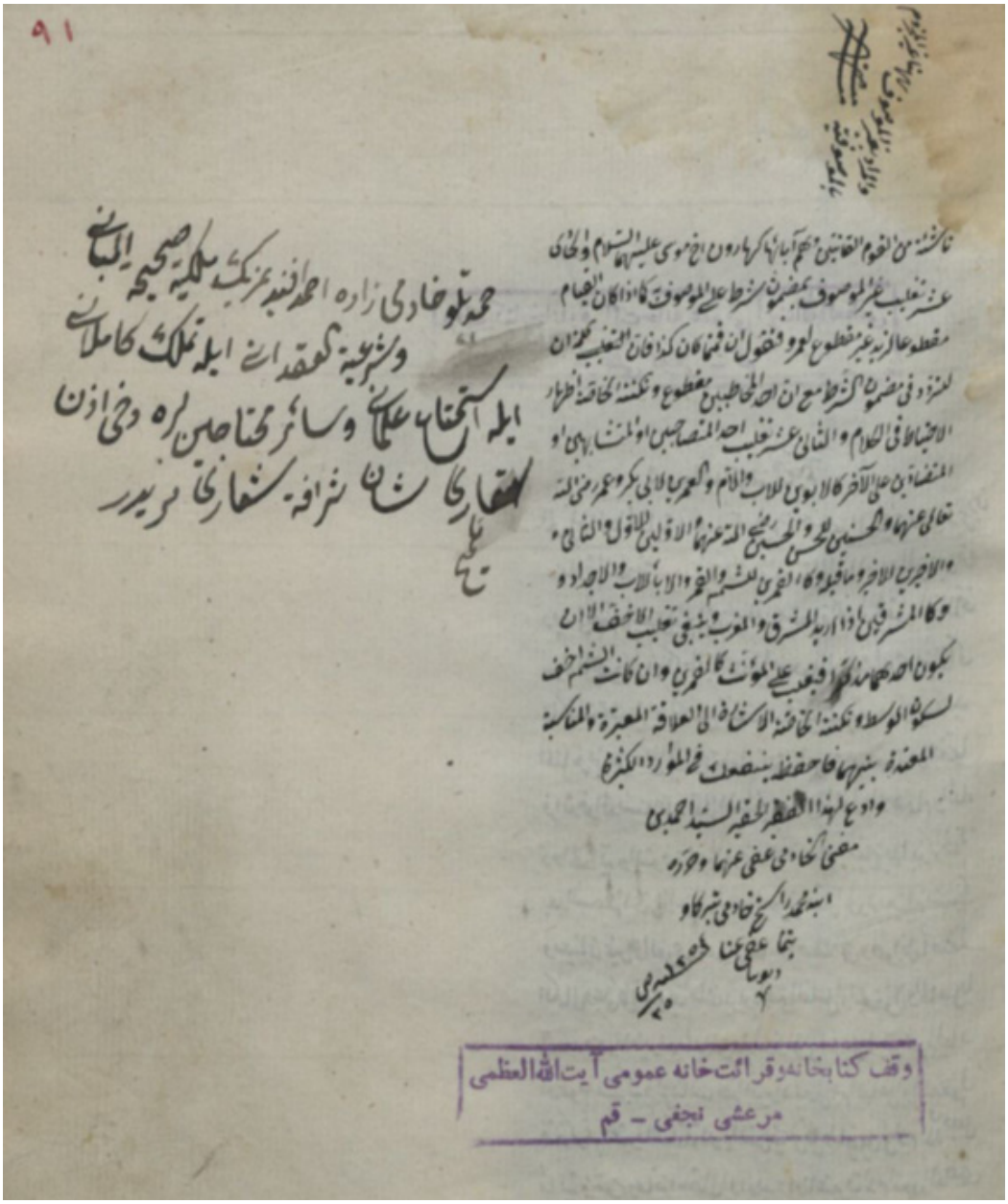

الصفحة الأخيرة من المخطوط

النص المحقق

بسمِ اللَّـهِ الرّحمنِ الرّحيم

يا غالباً غيرَ مغلوبٍ، ويا كاشفَ الهمومِ والكروب، أسألُكَ الغلبة على النفوسِ مع سترِ العُيوب، وتغليب الحسناتِ على الذنوب.

وبعدُ..

فاعلم أنّ التغليبَ لغةً: جعلُ الشيء غالباً على آخرَ، فهو بالنظرِ إلى صدورهِ من اللَّـهِ تعالى، خلقُ الغلبةِ في الشيء فراجعٌ إلى صنعةِ التكوين، وبالنظرِ إلينا كسبُها، فمن مقولة الفعل إن بالأركان، وفي الكيفياتِ المحسوسةِ المسموعة إن باللسان، وفي النفسانية إن بالجنان[٧].

واصطلاحاً: إرادةُ المعنيينِ فصاعداً بلفظٍ موضوعٍ لأحدِهما باعتبارِ غلبتهِ على الآخر[٨].

وعرّفَ بعضُهم[٩]: بأنّه ترجيحُ أحدِ المَعْلومَينِ على الآخر، وإطلاق لفظه عليهما، فهو بالنظر إلى اللَّـهِ تعالى راجعٌ إلى صفةِ الكلام أو الإرادة، وبالنظر إلينا، من مقولة الكيف[١٠]، وهو من باب عموم المجاز[١١]، لا يقال: فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز[١٢]؛ لأنّا نقول[١٣]: إنّ الجمع إنّما يلزم إذا كان كلٌّ واحدٍ منهما مراداً باللفظ، وههنا أُريد به معنىً[١٤] واحدٌ، تركّب من المعنى الحقيقي والمجازي، ولم يُستعملِ اللّفظ في واحد منهما، بل في المجموع مجازاً، ثمَّ إنّ له نكتة عامة[١٥]، وهي اختصار اللّفظ ولطافته، مع عذوبة المعنى ونزاكته، ونكتة خاصة، مناسبته لمقامه.

وأنواعه المشهورة بينهم[١٦].

اثنا[١٧] عشر:

الأوّل: تغليب العقلاء على غيرهم بإطلاق لفظ مختصٍ بالعقلاء، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِم﴾ [١٨]، فإنّ ضمير أسمائهم كناية عن المُسمياتِ المشتركة بين العقلاء وغيرهم، مع أنّ لفظ: «هم» مختص بالعقلاء، ونكتته خاصة، تشريف العقلاء.

والثاني: تغليب الجنس الكثير الأفراد

على فردٍ من غير هذا الجنس بإطلاق اسم ذلك الجنس على الكلِّ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [١٩] على كون الاستثناء متصلاً[٢٠]، وكون الأمر متعلقاً لمجموع الملائكة مع إبليس بغير اعتبار الاكتفاء، فغلّب الملائكة على إبليس، ونكتته الخاصة التعظيم للملائكة، والتحقير لإبليس[٢١].

والثالث: تغليب الأكثر على الأقلّ من جنسٍ واحدٍ بإطلاق لفظٍ مختصٍ بالأكثر على الأقلّ، كقوله تعالى حكاية: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[٢٢]، أدخل شعيب بحكم التغليب في العَوْد إلى ملَّتِهم، مع أنّه لم يكن في ملّتهم أصلاً[٢٣]، ونكتته الخاصة، الإشارة إلى افتراء قومه [عليه][٢٤].

والرابع: تغليب المتكلّم على المخاطب بإطلاق لفظٍ مختصٍ بالمتكلم على المجموع نحو: نحن أو أنتم فعلنا كذا. فإنّ ضمير فعلنا مختص بالمتكلّم، ونكتته الخاصة، ترجيح المتكلّم نفسَه على المخاطَب.

والخامس: تغليب المتكلّم على الغائب نحو: أنا وزيد فعلنا كذا، ونكتته الخاصة، كالرابع[٢٥].

والسادس: تغليب المخاطَب على الغائب نحو: أنت وزيدٌ فعلتما[٢٦]، ونكتته الخاصة، تلطيف المخاطب.

وقد يجتمع في لفظٍ تغليبُ المخاطَب على الغائب، والعقلاء على غيرهم، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[٢٧]، فضمير يذرؤكم شامل ههنا للناس المخاطبين، والأنعام المذكورة بلفظ الغَيْبة، مع أنّه مختص بالعقلاء المخاطبين، بحسب الوضع[٢٨].

والسابع: تغليب الموجود على غير[٢٩] الموجود، المترقبِ وجودُه، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[٣٠]، فلفظ أُنزِل دالٌّ من وجهين على مجموع الأحكام المُنزّلةِ الموجودة

بين أظهر الأمة، مع أنّ بعضها لم تُنزَّل وقتَ نزولِ تلك الآية الكريمة، ونكتته الخاصة، الإشعار بتحقق نزول ما يُترقّبُ، وتكريم المؤمنين بأنّهم يؤمنون على ما أُنزل وسينزِل[٣١].

والثامن: تغليبُ ما وقع بوجهٍ معيّنٍ(٣٢)، على ما وقعَ بوجهٍ آخر، كقوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُم﴾[٣٣]، فذكرُ الأيدي تغليب الأفعال الواقعة بالأيدي على الواقعة بغيرها، ونكتته الخاصة، إشعار كثرةِ أفعال اليد[٣٤].

والتاسع: تغليب جانب المعنى على جانب اللّفظ، كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[٣٥] بتاء الخطاب مع أنَّ القياسَ[٣٦] بياء الغَيْبة؛ لأنَّ الضميرَ عائدٌ إلى قوم، ولفظِ غائب، إذ كلُّ مُظْهَرٍ غائب، وإن كان[٣٧] عبارةً عن غيره، لكنّه لمّا كان في المعنى عبارةٌ عن المخاطبين غُلِّب جانبُ المعنى على اللّفظ، ونكتته الخاصة، إشارة إلى كون المقصود مُتعلّقاً بالمعنى[٣٨].

والعاشر: تغليب المذكر على المؤنّث، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٣٩]، مع أنَّ القياس من القانتات[٤٠]، ونكتته الخاصة، إظهار شرف الرجال، وهذا على كون لفظةِ «من» للتبعيض كما هو الظاهر، ويُحتملُ كونها للابتدائية[٤١]، فلا تغليبَ حينئذٍ؛ إذ المعنى كانت ناشئةً من القوم القانتين، وهم آباؤها[٤٢]، كهارون أخِ موسى (عليهما السلام)[٤٣].

والحادي عشر: تغليبُ غيرِ الموصوف بمضمونِ شرطٍ على الموصوفِ به، والمراد بغير الموصوف ههنا، غير المجزوم بالموصوفية، كما إذا كان القيام مقطوعاً لزيد غيرَ مقطوعٍ لعَمْرو، فنقول: إنْ قمتما كان كذا، فإنَّ كلمة «إنْ» للتردّد في مضمون الشرط مع أنَّ أحد المخاطبَينِ مقطوعٌ، ونكتته الخاصة، إظهارُ الاحتياط في الكلام.

والثاني عشر: تغليبُ أحدِ المتصاحبينِ[٤٤]، أو المتشابهينِ[٤٥]، أو المتضادينِ[٤٦] على الآخر، كالأبوين

للأب والأم، والعُمرينِ لأبي بكر وعُمَر، والحسنين للحسن والحسين (عليهما السلام)، والأوّلينِ للأول والثاني، والأخيرينِ للأخير وما قبلَه[٤٧]، وكالقمرينِ للشمس والقمر، والآباءِ للأب والأجداد، وكالمشرقينِ إذا أُريد المشرق والمغرب، وينبغي تغليبُ الأخفّ إلّا أن يكونَ أحدهما مذكراً فيغلَّب على المؤنث كالقمرين، وإن كانت الشمس أخفّ لسكون الوسط، ونكتته الخاصة، الإشارة إلى العلاقة المعبرة، والمناسبة المعتدّة بينهما. فاحفظه ينفعك في الموارد الكثيرة، وادع لهذا الفقير الحقير السيد «أحمد بن مفتي الخادمي» عفا عنهما، وحرره ابنه «محمد راسخ خادمي» تبركاً وتيمناً، عفا عنّا ذنوبنا، سنة (١٢٥٤ ص٢٥)[٤٨].

خاتمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى اللّه على أشرفَ الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنني سأذكر في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها، ويمكن تلخيصها:

١- أظهر المخطوط واحدا من أساليب العرب وهو أُسلوب «التغليب» الذي عُدّ مسلكاً دقيقاً في لغتهم، وكشف عن مدى تصورهم للأشياء وإدراكهم لها، ويمكن أن نلتمس آثاره في القرآن الكريم.

٢- أظهر المخطوط اهتمام علماء عصرئذ بالقرآن الكريم واللّغة العربية على وجه الخصوص، وكذلك الحرص على إيصال المعنى المقصود للكلمة أو المراد منها لأجل بيانهما لطلاب العلم، وهي دلالة على التزام هؤلاء العلماء بإيصال هذه العلوم إلى من بعدهم كما تلقوها ووصلت إليهم ممن قبلهم من أئمة السلف الصالح.

٣- برّز المخطوط العلوم التي كانت متداولة آنذاك وإيرادها بأسلوب سهل يكون في متناول العالم والمتعلم على حدّ سواء في الفهم والإيجاز والاختصار بعيدا عن الطرق الكلاسيكية القديمة

التي تدرس في الحوزات العلمية التي يأخذها المتلقي، وإمكانية إدخال مادتها في الدراسة بدءاً من النشء إلى المراحل الأخيرة من الدراسة. وبعبارة أخرى: أظهر المخطوط الاهتمام بتبسيط وتيسيرها عبارات كتب العلماء القديمة بصورة ترغّب الطلاب فيها وتجعلهم يقبلون عليها.

تم وللّه الحمد.

الهوامش:

١- ينظر : معجم التأريخ : ١/ ٣٢٥.

٢- ينظر: معجم المؤلفين : ١٢/ ٣١.

٣- ينظر: معجم البلدان :١/ ٤٧٩- ٤٨٠. هدية العارفين : ٢/ ٣٣٣. دائرة المعارف الإسلامية: ٤/ ٧٨.

٤- ينظر: معجم التاريخ : ١/ ٣٢٥.

٥- م. ن : ١/ ٥٤٣.

٦- ينظر : معجم التاريخ: ١/ ٥٤٣. وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: ٤/ ٤٥٧. وهدية العارفين: ١/ ١٧٥.

٧- التي أوجدها اللّه تعالى في مخلوقاته. بخلاف ما إذا كانت عند الإنسان فهي مكتسبة سواء أكانت بالأركان أم باللّسان أم بالجنان فهما إذن متغايران، وقد وضعها الفلاسفة في باب المقولات العشر. وقال العلماء: إنّ لكل شيءٍ وجودات أربعة: وجود في البَنَان بالكتابة، ووجود في اللسان بالعبارة، ووجود في الجَنَان -أي العقل- بالتصُّور، ويُعبّر عن هذا أيضا بوجود الأذهان، والرابع: هو الوجود في العيان؛ أي بالتحقق خارجا عن الأذهان. ينظر: المطالع النصرية: ٣٠.

٨- وهي جعل بعض المفهومات تابعا لبعض داخلا تحت حكمه في التعبير. ينظر: مقدمة في تحقيق التغليب: أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٦٠هـ). ورقة (١).

٩- ومن هؤلاء الذين عرّفوا التغليب شرف الدين الطيبي (ت٧٧٣هـ) صاحب البيان في التبيان: ١٦٤، الذي عدّه من باب المجاز، ومنهم الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) صاحب التعريفات: ٦٣، وذهب الزركشي في تفسيره (البرهان في علوم القرآن): ٣/ ٣١٢، إلى أنّه من المجاز، قائلا: «جميع باب التغليب من المجاز، لأنّ اللفظ لم يستعمل فيما وضع له».

وعرّفه آخرون بأنّه: إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بأن يجعل الآخر موافقاً له في الهيأة أو المادة. وبعضهم ذهب إلى

أنّ التغليب ليس بحقيقة ولا مجاز. ينظر: الدسوقي: ٢/ ٧٠. وأساليب بلاغية: ٢٨٧. وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ٢/ ٣١٨. وخصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ٣٣٤.

١٠- الكيف: «هيأة قارّة في الشيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته» التعريفات: ١٨٨.

١١- مصطلح يطلقه الأصوليون على اللفظ الذي يعطي معنى المجاز والحقيقة معاً.

١٢- جواب سؤال مقدر حاصله: إمكانية الجمع بين الحقيقة والمجاز.

١٣- وهو ردّ المؤلف على من أنكر عموم المجاز.

١٤- في المخطوط (المعنى).

١٥- لفظ النكتة كثيرا ما يستعملها دارسو الحوزة العلمية إشارة إلى الشيء الدقيق، وفي لسان العرب: ٢/ ١٠١ (نقطة سوداء في شيء صاف).

١٦- الضمير يعود إلى اللغويين.

١٧- في المخطوط (اثنى) بالألف المقصورة.

١٨- سورة البقرة جزء من الآية ٣٣، لّما دخل في الجملة من يعقل ومالا يعقل أجرى الجميع مجرىً واحداً وجاز تغليب اسم ما يعقل على ما لا يعقل.

١٩- سورة البقرة: جزء من الآية ٣٤.

٢٠- «الاستثناء المتصل مركب من قيدين، الاستثناء من الجنس والحكم بالنقيض»، أي ما كان المستثنى من جنس المستثنى منه، ويكون ما بعده مخالفاً لما قبله من المعنى. ينظر: شرح تنقيح الفصول: ٢٣٩. جمال القراء وكمال الإقراء: ٦٨٠ ط المأمون. وجامع الدروس العربية: ٣/ ١٢٧. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ١٥/ ٥٩.

٢١- «غلّب صفة عبادته وما به يشبه الملائكة على صفات الجن، فجُعل من الملائكة لا أنّه عبّر بالملائكة عن إبليس والملائكة لتغليب الأفراد الكثيرة على واحد مغمور فيهم» الأطول في شرح

تلخيص مفتاح العلوم: ١/ ٤٦٥، ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٥٧٧.

٢٢- سورة الأعراف جزء من الآية : ٨٨.

٢٣- ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ١/ ٣٢٩.

٢٤- بين المعقوفين من المحقق وفي الأصل (له).

٢٥- وهي ترجيح المتكلّم نفسَه على المخاطب، وفيه نظر؛ - كما يقول صاحب الأطول- : «لأنّ ضمير المتكلم مع الغير موضوع لمتكلم معه غيره سواء كان غائباً أو مخاطباً، فهو في المثالين على حقيقته ولا تغليب، فالمثال المطابق لتغليب المتكلم على الغائب، نحو: نحن رجال نفعل، على صيغة المتكلم مع الغير». الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١/ ٤٦٦.

٢٦- فغلّب فيه خطاب المعطوف عليه على غيبة المعطوف. الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١/ ٤٦٦.

٢٧- سورة الشورى جزء من الآية : ١١.

٢٨- «فيه» الهاء يعود على الخلق، وفي قراءة ابن مسعود: (فيها) أي: في الأنعام؛ لما جعل للبشر فيها من أنواع المنافع، ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: ١٤/ ٢٢. وتفسير الماتريدي: ٩/ ١٠٩. و«يذرؤكم»، أي ينبتكم ويكثركم أيها الناس والأنعام في هذا التدبير والجعل- فهو خطاب للجميع، للناس المكلفين وللأنعام المذكورة بلفظ الغيبة، ففيه تغليب المخاطب على الغائب، وإلّا لما صح ذكر الجميع- الناس والأنعام- بطريق الخطاب، لأنّ الأنعام غيب، وفيه تغليب العقلاء على غيرهم، وإلا لما صح خطاب الجمع بلفظ «كم» المختص بالعقلاء. ففي لفظ «كم» تغليبان، ولولا التغليب لكان القياس أن يقال: يذرؤكم وإياها. ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤/ ٩٥. ومفتاح العلوم: ٢٤٢. وأساليب

بلاغية: ٢٦٨.

٢٩- سورة البقرة جزء من الآية : ٤.

٣٠- في المخطوط (الغير).

٣١- فإنّ المراد المنزل كلّه وإنّما عبر عنه بلفظ المضي، وإن كان بعضه مترقبا حينها ولم ينزل تغليبا للموجود على ما لم يوجد. ينظر: أساليب بلاغية: ٢٦٨.

٣٢- عبارة [على ما وقع بوجه معين] تكرار من قلم الناسخ.

٣٣- سورة آل عمران والأنفال : جزء من الآيتين : ١٨٢ و٥١.

٣٤- لأنّ أكثر الأعمال تزاول بالأيدي ولذلك جمعها القرآن الكريم.

٣٥- سورة النمل جزء من الآية : ٥٥.

٣٦- وهو القياس الذي منشؤه استقراء اللّغة والمراد به ما يقابل القياس العقلي، فيدخل فيه القياس النحوي والصرفي. ينظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: ٣/ ١٦١. والإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ١٢٠.

٣٧- هذا المظهر.

٣٨- أتى بتاء الخطاب تغليبا لجانب «أنتم» على جانب «قوم»، والقياس أن يؤتى بياء الغيبة؛ لأنّه صفة «لقوم»، وقوم اسم غيبة، وحسن العدول عنه وقوع الموصوف خبراً عن ضمير المخاطبين. ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٣٤، وأساليب بلاغية: ٢٦٧.

٣٩- سورة التحريم جزء من الآية : ١٢.

٤٠- فعدّت الأنثى من المذكر بحكم التغليب، وأجرى الصفة المشتركة بينهما على طريقة إجرائها على الذكور خاصة، فإنّ القنوت مما يوصف به الذكور والإناث لكن لفظ «قانتين» إنّما يجرى على الذكور فقط من دون الإناث.

٤١- في المخطوط للابتداءية : أي لابتداء الغاية.

٤٢- «والمعنى وكانت مريم مبتدأة وناشئة من القوم القانتين؛ لأنّها من نسل إبراهيم وإسحق ويعقوب، ومن ذرية هارون أخي موسى فلا يتعين التغليب،

إذ المراد بالقانتين محض الذكور من آبائها، والوجه الأول أعني جعل (من) تبعيضية، وارتكاب التغليب في الآية أحسن لفوات نكتة التغليب المذكور على الوجه الثاني، وفوات وصفها بجهات الفضل؛ لأنّ كونها من أعقاب الأنبياء الكرام القانتين لا يستلزم كونها قانتة، والغرض وصفها بالحسب أي: بالفضل والصلاح لا بالنسب». حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: ٢/ ٧١.

وإطلاق القوم على طائفة فيها امرأة هو مجاز مرسل، وإن كان الادّعاء أنّها منهم ففيه تغليب. ينظر: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية: ١٤٠.

٤٣- في المخطوط (آبائها).

٤٤- نحو: الحسن والحسين (عليهما السلام).

٤٥- نحو: القمر والشمس.

٤٦- نحو: الأب والابن.

٤٧- وكذلك يُطلق على الغداة والعشي العصران، ينظر، غريب الحديث - الخطابي: ٣/ ٦١٥.

٤٨- هكذا وردت في المخطوط، وأظنّ أنّها شهر صفر، الخامس والعشرون منه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيأة المصرية العامة الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢- أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني: أحمد مطلوب أحمد الناصري، وكالة المطبوعات- الكويت الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.

٣- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٤-إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ) عنى بتصحيحه وطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا، والمعلم رفعت بيلكه الكليسى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥- الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة.

٦- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد اللّه بدر الدين محمد بن عبد اللّه بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٧- البيان في التبيان: للإمام شرف الدين الطيبي (ت ٧٤٣هـ) تحقيق ودراسة: عبد الستار حسين مبروك زموط، الناشر جامعة الأزهر، طبعة ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٨- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من

العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٩–تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

١٠– تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد اللّه الأرمي العلوي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

١١– جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ): المكتبة العصرية، صيدا – بيروت الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

١٢– جمال القراء وكمال الإقراء: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة: دار المأمون للتراث– دمشق– بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ– ١٩٩٧م.

١٣– حاشية الدسوقي على مختصر المعاني: سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] محمد بن عرفة الدسوقي المحقق: عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية، بيروت.

١٤– خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة الطبعة: السابعة.

١٥– دستور العلماء= جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ) عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب

العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦- شرح تنقيح الفصول: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد: شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

١٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٨- غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ) المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرّج أحاديثه: عبد القيوم عبد النبي دار الفكر - دمشق: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٩- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد اللّه الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٢٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع الكتاب حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف): لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣هـ)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي): أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار اللّه (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤٠٧هـ.

٢١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان

درويش - محمد المصري: مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٢- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٤- المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ: نصر (أبو الوفاء) ابن الشيخ نصر يونس الوفائي الهوريني (ت ١٢٩١هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور طه عبد المقصود، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٢٥- معجم التأريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم» (المخطوطات والمطبوعات)، إعداد: علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، الناشر: دار العقبة، قيصري - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٢٦- مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، الناشر: المعارف استانبول ١٩٥١م: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٢٨- مقدمة في تحقيق التغليب، مخطوط: أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٦٠هـ).